مقالۀ نقد

سيرة أبي‌طالب من خلال كتاب السيرة النبوية لابن هشام

شاكر مجيد كاظم [1]

الملخّص

ان السيرة النبوية لابن هشام كتبت وفق ثقافة الامويين والعباسيين وبأقلام مؤيديها. لذلك نجد في هذا الكتاب الروايات والاخبار والاحداث التي تتفق مع افكار ورؤى المنهجين الاموي والعباسي. فان ابن‌هشام عاش في أحضان العباسيين وفي بلاط الخلفاء والامراء. فما ورد في سيرة ابن‌هشام من اخبار وروايات تخص أبي‌طالب وأهل البيت عليهم السلام ليس ببعيدة عن ذلك المنهج المتعمد اتباعه في تدوين اخبار السيرة النبوية. لذلك قمنا بدراسة تحليلة لمتن سيرته ومطابقتها مع كتب التواريخ والاحاديث لنسدل الستار عن انحياز ابن‌هشام الى خلفاء عصره. ومن ثم كشفنا في خلال البحث عن زيف اخباره حول شيخ البطحاء أبي‌طالب عم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وذلك من خلال دراسة ونقد الروايات والاخبار المناهضة لنص السيرة النبوية لابن هشام.

الكلمات المفتاحية

ابو طالب، ابن‌هشام، السيرة النبوية، الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله، التاريخ الاسلامي

المقدّمة

يُعدّ كتاب السيرة النبوية لابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هجرية واحدا من اهم المصادر في الثقافة الإسلامية المعتمد عليها في رواية سيرة الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله والذي اختص الكتاب في الحديث عن شخصية النبي محمّد صلى الله عليه وآله منذ فترة ما قبل الإسلام مرورا بمرحلة نزول الوحي عليه ثم فترة الدعوة المكية وبعدها مرحلة الدعوة المدنية وما تلاها من غزوات ووقائع وحروب ثم فتح مكة حتى وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله. وكتاب سيرة ابن‌هشام هو بالأصل اختصارا لسيرة محمّد ابن‌إسحاق المتوفي سنة ١٥١ هـ الذي اعتمد في كتابتها على رواية الزهري وعروة بن الزبير وهما الناطقان باسم

[1]. باحث في الدراسات الإسلامية.

الدعاية الاموية.[٢] فهذا يعني أن السيرة النبوية كتبت تحت إشراف الامويين والعباسيين وبأقلام مؤيديها مؤيديها و لذلك نجد في السيرة النبوية الروايات والاخبار والاحداث التي تتفق مع افكار ورؤى ومنهج الامويين، وما خالفهم فأنه أسدل الستار عليه ولا يوجد له موضع قدم في السيرة النبوية وقد استطاع العباسيين شراء اقلام رواد كتابة السيرة النبوية والمغازي والفتوحات وليس من المستبعد عليهم أن يحتضنوا ابن إسحاق الذي عضه الدهر فإن قصر الدهر فان، والكريم يجزي الكريم كما عبر عنها ابن إسحاق نفسه.[٣]

> فإبن إسحاق قبل ان يدون قراطيسه في كتابه المطول كان عليه بالفعل أن يقوم بواجب مهم إما أن يحرّف المرويات المتعلقة بالعباس وابنه أو تلطيفها أو تعديلها، أو دس جملة أو جملتين هنا وهناك فيعتدل المعنى لصالح العباس والعباسيين، فيصبح العباس كأنه الناصح الذي يقدم المشورة للنبيﷺ ويصبح عبدالله بن عباس وهو لم يزل طفلا صغيرا داهية ونابغة ويؤدي دورا اكبر بكثير من دور الامام علي مع أنه ولد ثلاث سنوات أو اربع سنوات قبل الهجرة للمدينة.[٤]

فإذا كان ابن إسحاق قد فعل ذلك فكيف الحال مع ابن هشام الذي جاء من بعده وعاش في أحضان العصر العباسي وفي بلاط الخلفاء والامراء، فقام باختصار سيرة ابن إسحاق، فمن المؤكد أنه حذف أغلب الروايات التي تبين الدور الحقيقي لأبي طالب في نصرة الإسلام وحماية النبي الكريمﷺ وعدم ذكره للروايات الخاصة بإسلامه وإيمانه وغياب شبه تام لدور الامام علي وأهل بيت النبوة في السيرة النبوية. بحيث نجد أن نسبة أخبار رجال قريش وبيوتها اكثر بكثير مما ذكر لآل محمّد صلى الله عليه وعليهم اجمعين في سيرة النبي الاكرمﷺ وما هذا الإقصاء لهم إلا بفعل رواد كتابة السيرة النبوية، فقد طلب خالد القسري عامل الامويين على العراق عام ١٢٦ هـ من الزهري أن يكتب مروياته عن السيرة النبوية فسأل الزهري خالدا قائلا:

> أأكتب أو أقول رواية علي بن أبي طالب؟ فأجابه خالد كلا إلا أن تراه في قصر الجحيم.[٥]

٢. نقد الرواية التاريخية، ص١١٠ و١١٣ و١١٥.

٣. السيرة النبويّة، ج٢، ص٢٤٢.

٤. نقد الرواية التاريخية، ص٤٤.

٥. نقد الرواية التاريخية، ص١١٦.

بل إن معاوية بن أبي سفيان طلب من عروة بن الزبير ومن رواة الأحاديث والأخبار أن يضعوا روايات للنيل من الامام علي عليه السلام والطعن فيه ودفع الأموال لهم حيث روى ابوجعفر الإسكافي:

أن اخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلقوا ما ارضاه منهم ابوهريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبه ومن التابعين عروة بن الزبير.

ونقل عروة بن الزبير والزهري اخباراً غير مشرفة وكاذبة ورائحة الخسة والدناءة تفوح منها ونسبا الحديث إلى عائشة:

روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه، قال حدثتني عائشة: قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة! إن هذين يموتان على غير ملتي أو قال ديني.[٦]

وما ورد في سيرة ابن‌هشام من اخبار وروايات تخص أبي‌طالب وأهل البيت ليس ببعيدة عن ذلك المنهج المتعمد اتباعه في تدوين اخبار السيرة النبوية، كذلك بطعن سيرة ابن‌هشام فهذا مالك بن انس يقول:

لا تأخذوا سيرة ابن‌إسحاق ـ (التي اعتمدها ابن‌هشام ـ إنه دجّال من الدجاجلة).[٧]

الأوّل) أبوطالب اسمه ونسبه

أورد ابن‌هشام نسب أبي‌طالب فقال هو أبوطالب بن عبدالمطلب بن هشام بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر من بني إسماعيل بن إبراهيم الخليل.[٨] فجد أبي‌طالب قصي بن كلاب الذي فرض هيمنة قريش على مكة بعد أن كانت بيد خزاعة، وعمل على تنظيم شؤون مكة وأسكن قريش في مكة بعد أن كانت تعيش في جوانب مكة واطرافها فسمته قريش مجمعا لمّا جمع من أمرها وعمل على تنظيم الوظائف فيها فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كلها[٩] فحوّل قصي قريش إلى قبيلة مستقرة في مدينة عامرة بعد أن كانت في اطراف مكة متفرقة.[١٠]

---

٦. شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٧٨.

٧. تذكرة الحفاظ، ج١، ص١٧٣.

٨. السيرة النبويّة، ج١، ص١٤٤؛ جمهرة النسب، ج١، ص٣٠؛ جمهرة انساب العرب، ص٣٧؛ العمدة، ص٦٥.

٩. السيرة النبويّة، ج١، ص١٥٩-١٦٢.

١٠. قبيلة قريش، ص٣٠.

وأبوطالب أمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران المخزومي[١١] وأبوطالب اسمه عبد مناف[١٢] وبذلك نطقت وصية أبيه عبدالمطلب حينما أوصاه قائلاً:

اوصيك يا عبد مناف بعدي بموحد بعد أبيه فــرد[١٣]

وولد أبوطالب اربعة أولاد: طالب لا عقب له، وجعفرا ذا الجناحين استشهد يوم مؤتة، وعقيلا، وعلياعليه السلام وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف[١٤] وكان بين كل واحد منهم عشر سنين[١٥] وأم هانئ[١٦] واسمها فاختة[١٧] وهند، وجمانة، وأمهم كلهم فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف. وهي اول هاشمية ولدت لهاشمي، وقد أسلمت وهاجرت إلى النبيصلى الله عليه وآله وماتت بالمدينة وشهدها رسول الله محمّدصلى الله عليه وآله.[١٨]

ألقاب أبي‌طالب العشرة

من خلال دراستي لأبي‌طالب فقد وجدت أنه أُطلق عليه عشرة القاب وهي: شيخ الابطح، وشيخ بني هاشم[١٩]وسيد البطحاء، وشيخ قريش، ورئيس مكة،[٢٠] ورئيس قريش،[٢١] ورئيس بني هاشم،[٢٢] وشيخ وشيخ بني هاشم،[٢٣] والشيخ،[٢٤] وبيضة البلد. وقد افتخرت أخت عمرو بن عبد ود بأن الذي قتله علي بن أبي‌طالبعليه السلام كان أبوه يسمّى بيضة البلد، حيث تقول:

لوكان قاتل عمرو غير قاتله بكيته ابدا ما دمت في الابد

١١. جمهرة النسب، ج١، ص٣٠.
١٢. نسب قريش، ص١٧؛ العمدة، ص٦٥.
١٣. مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٦٢؛ بحار الأنور، ج٣٥، ص١٣٨.
١٤. جمهرة النسب، ج١، ص٣٠.
١٥. جمهرة النسب، ج١، ص٣٠؛ نسب قريش، ص٣٩.
١٦. الاشتقاق، ج١، ص١٥٢.
١٧. جمهرة انساب العرب، ص٣٧.
١٨. نسب قريش، ص٣٩.
١٩. مصنّفات الشيخ المفيد، ج٢، ص٣٢؛ بحار الأنور، ج٢٢، ص٢٧٧.
٢٠. شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٨؛ الاربعين للشيرازي، ص١٧؛ الكنى والالقاب، ج١، ص١٤٩.
٢١. الصحيح من سيرة النبي الأعظم، ج٣، ص١٧٠.
٢٢. العمدة، مقدمة الكتاب، ص١٤؛ مصنّفات الشيخ المفيد، ج٢، ص٢٣.
٢٣. مصنّفات الشيخ المفيد، ج٢، ص٢٣.
٢٤. بحار الأنور، ج٤١، ص١٥١.

لكن قاتله من لا نظير له وكان يُدعى أبوه بيضة البلد[٢٥]

ويقال بيضة البلد أي أنه واحد في قومة، عظيم فيهم الذي تجتمع إليه وتقبل قوله وأنه فرد ليس كمثله أحد في الشرف[٢٦] حتى ضرب العرب به الأمثال فقالوا: «أعز من بيضة البلد»[٢٧] وهذا يدل على المكانة العالية، والدرجة الرفيعة التي كان يحظى بها ابوطالب في المجتمع المكي وفي سائر بلاد العرب. وكان أبوطالب وسيما جسيما عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء.[٢٨]

قيل لأكثم بن صيفي حكيم العرب:

ممن تعلمتَ الحكمة والرئاسة والحلم والسيادة؟

قال:

من حليف الحلم والأدب سيد العجم والعرب أبي‌طالب بن عبدالمطلب.[٢٩]

وكان لأبي‌طالب مكان خاص له في مجلس قومه، لتيميّز جلوسه عن سواه ولا ينافسه في الجلوس عليه أحد من أشراف قومه إجلالا له.[٣٠]

الثاني) فقر أبي‌طالب حقيقة أم وهم؟ والازمة الاقتصادية المفتعلة؟

من القضايا التي أثارها ابن‌هشام في كتابة السيرة النبوية عند استعراضه لسيرة أبي‌طالب هي قضية فقر أبي‌طالب وقد صوّره بأنه رجل كان يعيش عيشة الكفاف بل وصل به الامر أنه أصبح عاجزاً عن توفير لقمة العيش لعياله مما أثار نخوة أقاربه وأهل رحمه للتعاطف معه وتقديمهم آلية المساعدة إليه وذلك من خلال كفالتهم لأولاده ورعايتهم إليهم، فهل كان أبوطالب رجلاً فقيراً؟ وهل كان حقاً عاجزا عن توفير مستلزمات المعيشة لأهل بيته؟ ام أنه كان رجلا غنياً وميسورا وأنه كان تاجراً ويقوم برحلة الإيلاف، وأنه كان مشهورا بالكرم والسخاء وبيته كان مأوى للمحتاجين والفقراء وهذا ما سنحاول أن نركز عليه ونوضحه.

فقد نقل ابن‌هشام رواية عن ابن‌إسحاق قال:

---

٢٥. شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٩؛ لسان العرب، ج٧، ص١٢٢.

٢٦. لسان العرب، ج٧، ص١٢٢؛ تاج العروس، ج١، ص٤٥٨٤.

٢٧. تاج العروس، ج١، ص١٨٣٦؛ اطواق الذهب في المواعظ والخطب، ص٤.

٢٨. شعر أبي‌طالب دراسة أدبية، مقال منشور على موقع: www.haydarya.com/nashatat/abo -talib.

٢٩. الكنى والالقاب، ج١، ص١٤٩.

٣٠. الوفا بأحوال المصطفى، ص١٢٧.

كان من نعمة الله على علي بن أبي‌طالب ومما صنع الله له وأراد به من الخير، أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة وكان أبوطالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله محمّدﷺ للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم: أن أخاك أبا طالب، كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة، فانطلق بنا إليه فلنخفّف عنه من عياله وآخذ من بنيه رجلاً وتأخذ انت رجلاً فنكلهما عنه. فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: أنّا نريد أن نخفّف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه. فقال لهما أبوطالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما ـ وقال ابن‌هشام: ويقال عقيلا وطالباً ـ فأخذ رسول الله محمّدﷺ علياًعليه السلام فضمه إليه وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه. فلم يزل علي مع رسول الله محمّدﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي‌اللهعنه وآمن به وصدّقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.[31]

وعند العودة إلى نسخة سيرة ابن‌إسحاق لم نعثر فيها على هذا النص[32] ورواية ابن‌هشام أعلاه وردت في مصادر مختلفة.[33]

تناقض الروايات بشأن فقر أبي طالب

إن المتتبّع لدراسة الروايات والاخبار التي ذكرها ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية وكذلك المؤرخون اللاحقون الذين أخذوا عنه، نجد تلك الروايات متناقضة بعضها مع البعض الآخر ففي الوقت الذي يذكر فيه أن أبا طالب كان رجلا فقيراً، معدماً عاجزاً عن رعاية اولاده ويعيش حياة بائسة إلى درجة الكفاف إلا أن ابن‌هشام في ذات الوقت يذكر روايات أخرى توضّح غنى أبي‌طالب وأنه كان تاجراً بارزاً من تجّار مكة وأن وضعه الاقتصادي كان على درجة عالية من الغنى حيث كان يتاجر مع أقاليم الجزيرة العربية وإلى بلاد الشام ومدنها ومنها بصرى[34] حيث كان يسافر مع رحلة إيلاف قريش (إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام) وكان معه في تلك الرحلة كبار تجار قريش ورجالها

---

٣١. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٨٣.

٣٢. سيرة ابن إسحاق، ص٢٣ وما بعدها.

٣٣. تاريخ الطبري، ج٢، ص٣١٣؛ علل الشرائع، ص٢٤٢؛ حلية الابرار، ج٢، ص١٦ـ٣٦؛ عيون الأثر، ج١، ص١١١؛ الاستيعاب،ج١، ص٣٠؛ مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٢٠٥؛ نهاية الأرب، ج١٦، ص١٢٩؛ شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠٠؛ بحار الأنور، ج٣٤، ص٢٣٧ـ٢٣٨.

٣٤. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٨؛ المحبّر، ص٩.

وأصحاب الأموال فيها.[٣٥] ومن الادلة التي نستدّل بها على فساد رواية فقر أبيطالب أنه كان لأبيطالب حضور متميز في سوق عكاظ كونه تاجرا ثريا وسيد مكة التي كانت مركز التجارة العالمي في بلاد العرب وكان يخطب في مكة ويدعوهم إلى الحضور في موسم عكاظ وقد باهى العرب بحماية قريش مواسم عكاظ. بل إن ادارة سوق عكاظ وحمايته والإشراف عليه كانت بيد أبي طالب[٣٦] وكان ابوطالب واحدا من أشهر تجّار مكة[٣٧] ولمّا كان أبوطالب سيد مكة وزعيمها ورجلاً غنياً فقد السقاية والرفادة[٣٨] وقد افتخر ابوطالب بأنه كان يرعى السقاية في مكة وهي من الأعمال التي يعتز المرء بها إذ أنشد قائلاً:

وإن لنا حوض السّقاية دونهم ونحن الكدى من غالب والكواهل[٣٩]

وهذه الوظيفة لا يمكن أن يتولاها أي شخص إلا إذا كان متمكنا اقتصاديا وله القدرة على الإنفاق لمّا تتطلبه السقاية والرفادة من بذل في المال لتوفير المياه العذبة للحجّاج وتوفير الطعام لهم. فهذا يدل بشكل قاطع على أن أبا طالب كان ميسور الحال ولم يكن يعيش في ضائقه مالية أو أنه رجل فقير كما يصوّره ابن‌هشام والمصادر التاريخية الاخرى. ومن خلال دراستنا للموضوع وجدنا أن أبا طالب قد اشتهر بالكرم والسخاء والجود بشكل يذهل الاخرين بحيث أنه يقوم بإطعام الناس جميعا بمفرده فإذا فعل ذلك لم يُطعم آخر معه:

وكانت قريش تطعم، فإذا أطعم أبوطالب لم يُطعم يومئذ احد غيرهُ.[٤٠]

فالذي يفعل هذا ويطعم جميع الناس بمفرده هل هو رجل غني أم فقير؟ من خلال دراستنا لمضمون هذه الرواية وجدنا فيها اشكاليات عديدة. فقد ذكر ابن‌هشام أن قريش أصابتهم أزمة اقتصادية شديدة ونقل هذا الخبر العديد من المؤرخين الاوائل الذين أشرنا إليهم في أعلاه واعتبروها من المسلمّات ولكن لم يقفوا عندها، ولم يتساءل احد منهم عن تلك الازمة الاقتصادية الحادة التي أصابت قريش واسبابها. فكُتُب التاريخ واصحاب الاخبار لم تذكر أن قريش مرت بتلك الازمة ولم يشيروا إلى وقوعها كما أنهم لم يبينوا أسبابها. هذا من جهة ومن جهة اخرى إن المصادر التاريخية واهل الاخبار لم يشيروا إلى قيام رجالات قريش الاغنياء بكفالة ورعاية اولاد الفقراء في المجتمع

٣٥. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٣ و٢٤٤ و٢٤٦ و٢٤٨.

٣٦. مواسم العرب، ج٢، ص٩٤٦.

٣٧. مواسم العرب، ج٤، ص٢٣٥.

٣٨. أنساب الأشراف، ج١، ص٦٤.

٣٩. شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٩؛ لسان العرب، ج٧، ص١٢٢.

٤٠. أنساب الأشراف، ج٢، ص٢٨٨.

المكي من جراء الازمة الاقتصادية التي تمر بها قريش وانما أشاروا فقط إلى كفالة الرسول محمّدﷺ إلى علي وإلى كفالة العباس إلى جعفر. فإذا كانت هنالك أزمة اقتصادية يعيشها المجتمع القريشي فهذا يعني أنها تشمل كل مواطني مكة وكل بيوتها ولا تكون مختصرة على بيت دون سواه. وإذا كان الرسول محمّدﷺ وعمه العباس تكفلوا برعاية اولاد أبي‌طالب فمن المؤكد قيام رجال آخرون بالفعل ذاته مع الفقراء من العوائل والبيوت من قريش وتكفلوا برعاية اولادهم ونقلهم إلى بيوتهم للتخفيف عن كاهل اسرهم من باب التكافل الاجتماعي إلا أن التاريخ لم يذكر أي شيء عن ذلك ولم يذكر ولو مثالٍ واحد أو خبر مشابه لكفالة الرسول والعباس لعيال أبي‌طالب الذي كان حدثاً منفرداً، ومثال آحاد لا مثيل له في مجتمع مكة؟ ورُبّ سائل يسأل هل إن الازمة الاقتصادية الحادة التي مرت بها قريش كانت مختصرة على بيت أبي‌طالب فقط دون سواه؟ أم أنها شملت قريش بأجمعها؟ ولماذا كان حديث الإخباريين قد اختصر على بيان تأثير تلك الازمة على بيت أبي‌طالب فقط ولم يذكروا آثارها السلبية على اهل مكة وبيوتها؟ فهذا يوضّح لنا بشكل جلي أن رواية الازمة الاقتصادية التي مرت بها قريش أنها رواية موضوعه وملفقّه وليس لها أي دليل يؤيّد صحتها، بل أنها وضعت من قبل الامويين للنيل من أبي طالب.

علاوة على ذلك أن بعض من اولاد أبي‌طالب من الذكور كانوا رجالا عند كفالتهم فأعمارهم كانت أكثر من ٢٥ سنة كعقيل وجعفر، فكيف يمكن كفالة جعفر وتولي تربيته من قبل العباس بن عبدالمطلب وهو بهذا العمر.

وتستمر الروايات التي تُطعن في أبي‌طالب وإلصاق الفقر فيه أينما ذهب وأينما حل، حتى السقاية التي كان يقوم بها في موسم الحج تزعم تلك الروايات المصطنعة بأنه تنازل عنها بسبب فقره وعوزه إلى أخيه العباس، الذي كان ميسور الحال الامر الذي دفع أبا طالب إلى أن يقترض من أخيه العباس مالاً ثم لم يستطع وفاءهُ الدَين فأخذ العباس منه الرفادة والسقاية بما له عليه.[٤١] هذه الرواية انفرد بذكرها البلاذري المتوفي سنة ٢٧٩ هـ، ولم تذكر في سيرة ابن‌إسحاق المتوفي سنة ٢١٥ هـ، ولا في السيرة النبوية لابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هـ، حيث أوردها البلاذري بهذه الصيغة:

> قالوا: وافترع بنو عبد مناف على الرفادة والسقاية، فصارتا لهاشم بن عبد مناف، ثم صارتا بعده للمطلب بن عبد مناف بوصية، ثم لعبد المطلب ثم للزبير بن عبدالمطلب ثم لأبي‌طالب ولم يكن له مال. فادّان من أخيه العباس بن عبدالمطلب عشرة آلاف درهم فأنفقها.

٤١. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤، ص٦١؛ مواسم العرب، ج١، ص٢٢١.

فلمّا كان العام المقبل، سأله سلف خمسة عشر الف درهم ويقال اربعة عشر الف فقال له: إنك لم تقضي مالي عليك وأنا اعطيك ما سألت على أنك إن لم تدفع إلي جميع مالي في قابل فآمر الرفادة والسقاية اليَّ دونك. فأجابه إلى ذلك. فلمّا كان الموسم الثالث، ازداد أبوطالب عجزا وضعفا ولم تمكنه النفقة وأُعدم حتى أخذ كل رجل من بني هاشم ولداً من اولاده ليحمل عنه مؤونته، فصارت الرفادة والسقاية إلى العباس وابرأ أبا طالب مما له عليه وكان يأتيه الزبيب من كرم له بالطائف، فينبذ في السقاية. ثم جعل الخلفاء الرفادة من بيت المّال، فقام بالرفادة والسقاية بعد العباس عبد الله بن العباس ثم علي بن عبدالله ثم محمّد بن علي ثم داود بن علي ثم سليمان بن علي ثم عيسى بن علي ثم لمّا استخلف المنصور قال: إنكم لا تلون هذا الامر بابدانكم وإنما تقلدونه مواليكم، فأمير المؤمنين أحق بتوليته مواليه، فولّى امر السقاية ونفقة البيت وإطعام الحجّاج مولى له يقال له: زُريق.[٤٢]

فرواية البلاذري المتأخرة عن مؤرخي السيرة النبوية الاوائل والتي لم يكن لها ذكر عندهم وإنما جاءت متأخرة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجر، وهي رواية عباسية لحمها وسداها تريد إبراز شخصية العباس وهو جد العباسيين وباسمه سموا دولتهم. علاوة على ذلك أنها تريد إظهاره في التاريخ على أنه كان تاجراً وممولاً اقتصاديا، وأن أبا طالب بسبب مشاكله المّالية تنازل عن حقه في السقاية والرفادة وهما من المناصب الدينية السامية علاوة لما لها من دلالات اجتماعيه كبيرة في المجتمع العربي قبل الإسلام وامتدادها للعصر الإسلامي، فقد سلّمها إلى العباس.[٤٣]

فهذه الرواية تريد إبراز دور العباس وتعزيز دور العباسيين في المجتمع المكي قبل الإسلام وأنهم كانوا اصحاب الرفادة والسقاية التي هي من ابرز عناوين المفاخرات عندهم وتعدّ من المناقب التي يعتز المرء بها ويفتخر على غيره. كما أنها تركز بشكل رئيسي على إظهار حالة الفقر والعوز الذي كان يعيش فيه أبوطالب حسب زعمهم. وقد وجدت أن المصادر التاريخية تتناقض فيما بينها بشأن فقر أبي‌طالب فالبعض منهم يذهب إلى القول أنه كان فقيرا ولم تكن له القدرة على إعالة اولاده فجاء النبيﷺ وتكفل بالإمام علي والعباس تكفّل بجعفر[٤٤] في حين المصادر التاريخية الاخرى تنص

٤٢. أنساب الأشراف، ج١، ص٦٤.

٤٣. نقد الرواية التاريخية، ص٨٧.

٤٤. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٨٣.

على غنى أبي‌طالب وأنه كان رجلا غنيا ويمتلك الاموال ويعد احدا من الاثرياء في قريش بحيث تكفّل بإعالة مجاميع من العوائل في حصار قريش للمسلمين في شعب أبي‌طالب والإنفاق عليهم إلى درجة أنه أنفق كل ما يملك في سبيل الإسلام وليس كما ذكرت المصادر بأنه كان فقيرا وعاجزاً عن إعالة عائلته.[٤٥]

من خلال ما ذكرناه آنفاً يتضح لنا أن أبا طالب كان رجلاً غنياً وتاجراً مشهوراً وكان يحظر مواسم العرب التجارية في بلاد الشام ـ بصرى ـ وفي عكاظ وفي مختلف الاسواق العربية الاخرى التي كانت تقام في بلاد العرب. فكيف يمكن للباحث المنصف أن يصدّق بتلك الروايات التي أوردها ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية ونقلها عنه المؤرخون الذين جاؤوا من بعده والتي تصف أبي‌طالب بأنه كان رجلا فقيرا معدماً إلى حالة الفقر المدقع ويعيش حياة مأساوية إلى درجة أن أخيه وابن أخيه يأتون إليه ويأخذون منه اولاده ليتكفّلون بمعيشتهم ورعايتهم بدلاً عنه. فمثل هذه النصوص والروايات تناقض بعضها بعضاً ولذلك لا يمكن قبولها والتصديق بها.

وتتضح مظاهر النفس الكبيرة التي يحملها ابوطالب من خلال إنفاقه لجميع أمواله في حصار قريش لبني هاشم والمطلب. فضرب أروع الأمثلة في الإنفاق إلى جانب الرسول الأكرم محمّدﷺ علاوة على ما أنفقته السيدة خديجة في ذلك الحصار الظالم حيث أنفقوا هؤلاء الثلاث كل ما يمتلكون من الأموال. وقد أشارت المصادر التاريخية الأولية المتقدمة إلى ذلك الإنفاق اللامحدود من قبل هذه الشخصيات الثلاثة، فقد ذكر اليعقوبي:

> حصرت قريش رسول اللهﷺ، وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشِعْب الذي يقال له شِعْب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه. فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشِعْب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله وأنفق أبوطالب ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها وصاروا إلى حدّ الضرّ والفاقة.[٤٦]

وقد أوردت مصادر عديدة هذا النص وأشارت إلى كثرة الأموال التي أنفقوها هؤلاء أثناء فترة الحصار في شِعْب أبي طالب.[٤٧] ومما يثير الاستغراب تناقض المؤرخين بشأن أبي‌طالب فهناك من ينعته بأنه كان فقيرا وأصبح عاجزا عن إعالة أولاده فجاء إليه رسول اللهﷺ وكفل علي والعباس

٤٥. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٨٢ـ٢٨٣؛ شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٤؛ نهاية الأرب، ج١٦، ص١٢٩.

٤٦. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢١.

٤٧. الاختصاص، ص ٤٧؛ بحار الأنور، ج١٩، ص١٦؛ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص٣٥٢.

كفل جعفر،[٤٨] فهذا تضارب بالأخبار والروايات. فأبوطالب في حصار قريش كان يتولى الإنفاق على جميع المحاصرين في الشِعْب ويقدم إليهم الأموال بلا حدود فمإذا يدل هذا؟ هل يدل على أنه كان فقيراً معدماً قبل البعثة وعجز عن إعالة أولاده؟ ثم بعد البعثة تراه رجلا ثرياً بل مُفرط في الثراء وصرف كل أمواله وما يملكه خلال فترة الحصار الاقتصادي والاجتماعي والإنساني الذي فرضته قريش على النبيﷺ وعلى بني هاشم والمطلب. فهل أصبح أبوطالب رجلاً غنياً في ليلةٍ وضُحاها! أم أنه كان بالأصل غنياً، لأن المصادر الأولية أشارت إلى غنى أبي‌طالب إذ كان من أبرز تجّار مكة وكانت له تجارة واسعة ويشارك في رحلة الإيلاف وسافر بتجارته إلى بلاد الشام وكان يبيع ويشتري في أسواقها التجارية،[٤٩] وكان يساهم في تجارته أيضاً في سوق عكاظ.[٥٠] فثراء أبي‌طالب جاء من مصادر تجارته ولكن بعض المؤرخين أوردوا روايات مندّسة وموضوعة أرادت تشويه صورة أبي‌طالب ونعته بالفقر والفقر ليس عيباً ولكنهم أرادوا وسمه بأنه رجل عاجز وفقير ومُعدم وليس له القدرة على إعالة أولاده وتوفير لقمة العيش لهم، بهدف تقليل من أهمية ودور أبي‌طالب في دعم النبيﷺ وحمايته في نشر الدعوة الإسلامية، إنما هي شنشنة أعرِفُها من أخزَم. وأيضا بغضاً بابنه علي الذي نال من قريش ما نال من زعمائهم ورجالهم وشبابهم بسبب كفرهم ومحاربتهم لله ولرسولهﷺ وللمؤمنين. فهذا من أكبر الادلة على غنى أبا طالب وليس على فقره كما يزعمون.

الثالث) أبوطالب وحكاية تَنَبُّؤ الكهنة والرهبان بنبوّة النبيﷺ

أورد ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية روايتين عن شخصيتين تنبئ بنبوة النبي محمّدﷺ وكلا الروايتين مرتبطتين بسيرة أبي طالب.

الرواية الاولى: كهانة رجل من بني لهب

نقل ابن‌هشام عن ابن‌إسحاق قال:

> ان رجلا من لهب ـ من بني ازد شنوءة ـ كان عائفاً فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، قال: فأتى به ابوطالب وهو غلام مع من يأتيه فنظر إلى رسول الله ثم شغله عنه شيء فلمّا فرغ، قال: الغلام علي به فلمّا رأى أبوطالب حرصه

٤٨. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٨٣؛ نهاية الأرب، ج١٦، ص١٢٩.

٤٩. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٧.

٥٠. مواسم العرب، ج٢، ص٩٤٦.

عليه غيّبه عنه، فجعل يقول ويلكم ردّوا علي الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن، قال فانطلق أبوطالب.[٥١]

ونقلت مصادر تاريخية عديدة هذه الرواية[٥٢] من خلال قراءتنا لنص هذه الرواية وجدنا أن ابن‌هشام ينقلها وينسبها إلى رجل من بني لهب فلم يذكر اسمه فهو مجهول الهوية. علاوة على ذلك أنه جعل لهب حي من الأزد في حين السهيلي جعل لهب اسم علم وقال أنه لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد وهي القبيلة التي تعرف بالعيافة والزجر.[٥٣] وقوله ليعتاف لهم فالعائف الذي يتفرس في خلقة الانسان فيُخبره بما يؤول حاله إليه، فهو «صاحب الحدس والظن»[٥٤] وهي ضرب من التكهّن[٥٥] وفي الحديث:

العيافة والطرق من الجبت.[٥٦]

وبنو لهب هم أهل العيافة وأنهم أزجر العرب وأعيفهم،[٥٧] وفيهم يقول كثير بن عبدالرحمن الخزاعي:

تيمّمت لهبا ابتغي العلم عندهـم وقد رد علم العائفين إلى لهب[٥٨]

من خلال دراستنا للرواية أعلاه فقد سجلنا عليها الملاحظات التالية:

- إن رواية ابن‌هشام هذه مرفوضة جملةً وتفصيلا سواء من حيث كونها تنقل اخبار وحكايات عن شخص نكرة وغير معروف ومجهول الهوية يحاول من خلالها رسم صورة عن شخصية الرسول الكريم محمّدﷺ ولكنها صورة بعيدة عن الواقع وتخالف المنطق والعقل.
- ذكر ابن‌هشام أنه إذا قدم هذا الرجل من لهب ـ الذي هو مجهول الهوية ـ إلى مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، أي ينظر إليهم ويتنبأ بمستقبلهم، الملاحظ على هذه الرواية لم يذكر فيها اسماء رجال مكة الاخرين من الذين قدموا إليه بأولادهم إلا أبا طالب فانه ذُكر اسمه وكذلك أنه لم يذكر أي اسم من هؤلاء الأولاد أيضا الذين

٥١. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٦-٢١٧.
٥٢. الروض الأنف، ج١، ص٢١١؛ السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٤٢ـ٢٤٣.
٥٣. الروض الأنف، ج١، ص٣١١.
٥٤. لسان العرب، ج٩، ص٢٦٠.
٥٥. لسان العرب، ج٤، ص٣١٨.
٥٦. النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٦٢٢؛ غريب الحديث للحربي، ج٤، ص٣٥٤.
٥٧. ثمار القلوب، ص٣٧.
٥٨. تاج العروس، ج١، ص٩٥١.

حضروا عنده وأخبرهم بمستقبلهم إلا أن الرواية ذكرت اسم النبي محمّدﷺ فأين أسماء هؤلاء الأولاد الاخرين؟ لماذا لم يُذكروا كما ذكر اسم النبيﷺ فهذا أيضا يضعف الرواية ويسقطها.

- ذهاب أبي‌طالب إلى العرّاف او الكاهن ليعرف مستقبل النبي محمّدﷺ: هذا الخبر لا يمكن قبوله، فكيف يذهب أبوطالب إليه حتى يُنبئهُ بما سيكون عليه مستقبل النبي محمّدﷺ؟ لأن أبا طالب رجل من الأحناف، فهو من الموحدين على ملة إبراهيم الخليل.[٥٩] فهل يمكن القول بذهابه إلى هذا المتكهن؟ لأن ذلك يتناقض تماما مع إيمان أبي‌طالب وتوحيده وأن مستقبل النبي محمّدﷺ وعلمه بيد الله سبحانه وتعالى وليس بعلم هذا العرّاف الكاهن.
- إن الرواية تذكر ذهاب النبيﷺ مع أبي‌طالب إلى العرّاف هذا، فكيف يذهب النبيﷺ إليه اصلا؟ لأن النبي محمّدﷺ يعلم بمستقبله وما ستؤول إليه الامور وأنه نبي وهذا بيد الله وبعلمه سبحانه وتعالى، كما إن ذهابه إلى الكاهن او العرّاف يتناقض مع كونه نبي.

الرواية الثانية: كهانة الراهب بحيرى

اما الرواية الثانية التي نقلها ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية[٦٠] وقد رواها عن ابن‌إسحاق[٦١] وأوردتها مصادر تاريخية عديدة،[٦٢] إن طبيعة العلاقة التي ربطت بين رسول اللهﷺ مع أبي‌طالب علاقة الأب بابنه. إذ نشأ الرسولﷺ في حجر وبيت أبي‌طالب وكان يقدمه على نفسه وعياله في طعامه وكسوته ولذلك نجد أنه لمّا عزم أبي‌طالب بالتوجه بقافلته التجارية صوب بلاد الشام أراد النبيﷺ أن يرافقه. يقول ابن‌هشام:

> فلمّا تهيأ للرحيل وأجمع المسير صبّ به رسول الله ـ فيما يزعمون ـ فرقّ له أبوطالب وقال والله لأخرجنّ به معي ولا يفارقني ولا أفارقه ابداً فخرج معه.[٦٣]

٥٩. أبو طالب مؤمن قريش، ص١٠٠؛ السيرة المحمّدية، ص٥٣.
٦٠. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٩ـ٢٢٠.
٦١. سيرة ابن إسحاق، ص٧٣.
٦٢. تاريخ الطبري، ج١، ص٣٨٢؛ البداية والنهاية، ج٢، ص٢٨٣؛ تاريخ الإسلام، ج١، ص١١.
٦٣. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٧ـ٢١٨.

ولكن ابن‌هشام كعادته يشكك بكل رواية تدل على قوة العاطفة وميل أبي‌طالب إلى رسول الله ﷺ ولذلك يطعن بهذه الرواية وبمصداقيتها ويضعفها وذلك عندما يوصف تلك الرواية فيستخدم لفظ «فيما يزعمون» وهو لفظ يدل على عدم وثاقة وصحة الرواية، فهو يشكك ويطعن بمصداقيتها. وقال:

اصطحب أبوطالب معه النبي ﷺ في رحلته إلى بلاد الشام فنزلوا في مدينة بُصرى،[٦٤] وكان فيها راهب نصراني يقال له بحيرى، كان اعلم أهل النصرانية ولديه كتاب فيه علمهم ويتوارثونه كابرا عن كابر فيما يزعمون حسب تعبير ابن‌هشام. فلمّا رأى النبي ﷺ بادر إلى صنع طعام إليهم ودعاهم جميعا للحضور كبيرهم وصغيرهم عبدهم وحرهم، فحضروا جميعا باستثناء النبي ﷺ الذي ظل حارسا على رحال القوم وقد استظل تحت شجرة، فنظر إليهم بحيرى فلم يرى الصفة التي بحث عنها فيهم فسألهم هل حضروا جميعا؟ فقالوا له: أنه تخلّف عنهم غلام صغير السن، قيل إن عمر النبي ﷺ كان تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة[٦٥] وقيل تسع سنوات.[٦٦] فطلب بحيرى منهم إحضاره، فذهب إليه رجل منهم فاحتضنه وأحضره، فأخذ بحيرى يسأل النبي ﷺ عن احواله وصفته، ثم رأى خاتم النبوة في ظهر النبي ﷺ فأيقن بحيرى بأنه النبي ﷺ الذي سيبعث٦٧حيث عرفه من صفته ودلائله وما كان يجد في كتبه.٦٨ لذلك طلب من عمه أبي‌طالب أن يرجع به إلى مكة وحذره عليه من اليهود، وقد حاول نفر من أهل الكتاب النيل من النبي ﷺ بعد أن رأوه وهم كل من: زري وتمام وإدريس، ولكن بحيرى منعهم وردهم عنه. فخرج به عمه أبوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته في الشام.[٦٩]

٦٤. مدينة بصرى هي مدينة جوران فتحت صلحاً سنة ثلاث عشرة للهجرة وهي اوّل مدينة فتحت بالشام. (راجع: معجم ما استعجم، ج١، ص٧٤؛ معجم البلدان، ج١، ص٣١٨ و ج٢، ص١٢٦ـ١٢٧)

٦٥. تاريخ الطبري، ج١، ص٣٨٢.

٦٦. الروض الأنف، ج١، ص٨٥؛ زاد المعاد، ج١، ص٧٠.

٦٧. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٩ـ٢٢٠.

٦٨. مروج الذهب، ج١، ص٨٣.

٦٩. السيرة النبويّة، ج١، ص٢١٩ـ٢٢٠.

من خلال دراستنا لهذه الرواية حصلت لدينا عدّة ملاحظات عليها وهي:

- أورد ابن‌إسحاق قصة الراهب بحيرى والتي نقلها عنه ابن‌هشام، مرسلة دون إسناد.
- تذكر الرواية أن النبيﷺ الذي كان برفقة عمه أبي‌طالب قد تركه القوم ليقوم بوظيفة الحراسة على رحالهم وأمتعتهم وذهبوا جميعا لتلبية دعوة طعام بحيرى.
- فإذا كان برفقة أبي‌طالب وهو الذي عُرف بشدة حبه للرسولﷺ وملازمته له في حلّه وترحاله، فكيف يمكن أن يتركه بمفرده لحراسة الأمتعة؟ ومن المعروف أن القوافل التجارية في بلاد العرب كان يصاحبها مجموعة من الحرس لحراستها إضافة إلى مجموعة من العبيد والرقيق الذين يعملون في خدمة القافلة وتلبية مختلف حاجاتها.[٧٠] فأين ذهبوا هؤلاء جميعا حتى يطلب القوم من النبيﷺ محمّدﷺ ليبقى في حراسة الأمتعة.
- إن الرواية تؤكد بشكل كبير على أن الراهب النصراني بحيرى الذي يُعدُّ من اكابر علماء النصارى هو الذي تنبأ بمستقبل النبيﷺ محمّد وبأنه يحمل الصفات التي قرأها بكتبهم القديمة فهي تنطبق على النبي محمّدﷺ بل أكثر من ذلك أنه رأى خاتم النبوة في ظهره! فهل كان النبيﷺ عريانا حتى يعرف ذلك؟ أم أنه طلب من النبيﷺ أن يخلع ملابسه، علما بأن رسول الله ما كان يخلع ملابسه أمام الناس وقد عرف بشدة حياءه.[٧١]
- إن القصد من وراء تلك الرواية هو أن يكون لرهبان النصارى الفضل في التنبؤ بنبوة النبي محمّدﷺ وأنه النبي الذي وردت صفاته في كتبهم وقد أبلغوا النبيﷺ بذلك بالإضافة إلى عمه أبي طالب. وبذلك يكون للنصارى فضل على النبيﷺ لكونهم قد تنبؤوا له بالنبوة وايضا فيها إشارة حول مساهمتهم ودورهم في الحفاظ على حياة النبيﷺ وذلك من خلال إبلاغهم أبي‌طالب بضرورة توفير الحماية له والحفاظ عليه من أحقاد ودسائس اليهود الذين يسعون للفتك بالنبي محمّدﷺ.

ذكر ابن‌هشام رواية اخرى:

عندما خرج النبيﷺ إلى الشام وعمره خمسة وعشرين سنة في تجارة السيدة خديجة ومعه غلامها ميسرة. فنزل رسول الله في ظل

٧٠. مواسم العرب، ج١، ص١٤٢ـ١٤٥. وقول السليك بن سلكة في وصف الاماء اللواتي يعملن في تحميل الرواحل حيث يقول:
أشاب الرأس أنّي كل يوم أرى لي خالة وسط الرّحال (راجع: الكامل في اللغة والادب، ج١، ص١٤٠)

٧١. قال أبو سعيد الخدري: كان رسول اللهﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. (راجع: مسند أحمد، ج٢٣، ص٣٦٩؛ السنن الكبرى، ج١٠، ص١٩٢)

شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطّلع الراهب إلى ميسرة. فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ قال له ميسره: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.[٧٢]

هذه الرواية مرتبطة بمضمون رواية الراهب بحيرى مع أبيطالب إذ فيها ايمائهُ إلى تنبؤ الرهبان النصارى إلى نبوة النبي محمّدﷺ. إن هذه الافكار والرؤى تُبيّن فضل الديانة اليهودية والنصرانية على النبي محمّدﷺ وعلى الإسلام. ونجد لها صدى كبير وعال وواضح جدا في الفكر الاستشراقي وقد تبناها العديد من المستشرقين، فقد زعم المستشرق «نورمان دانيال» أن النبي محمّدﷺ تعلم القرآن الكريم من راهب نصراني اسمه بحيرى او جرجيس او سيرجوس. وذلك بسبب التشابه بين بعض محتويات القرآن وكتب أهل الكتاب [٧٣] وأن النبي محمّدﷺ ما جاء بجديد في القرآن وإنما بعضا من اليهود وبعضا من النصرانية وبعضا من قصص الفرس.

إن هذا المستشرق وغيره نسى أن عنصر المعجزة لا يفارق القرآن الكريم وهو خير دليل على أن مصدره من الله سبحانه وتعالى وأن التشابه في بعض الامور الدينية بين الاديان الثلاث ناتج عن وحدة المصدر وهو الله جلّ وعلا ومن المتعذر أن يكون نبي الإسلام محمّدﷺ قد اقتبس تعاليمه من التوراة والإنجيل [٧٤] وادعى المستشرق «هوفتز» أن ما جاء به النبي محمّدﷺ من قصص واحكام قد استفاها من التوراة دون أن يذكر المصدر الذي نقل عنه.[٧٥]

وادعى المستشرق الفرنسي «هنري لامانس» في كتابه «غربي الجزيرة العربية قبيل الإسلام» انتحال الإسلام من اليهودية والمسيحية وأن لهما الاثر الكبير في نشأة الإسلام وأنهم علّموا النبيﷺ و زوّده بالمعارف والاحكام التي وردت في القرآن الكريم.[٧٦] وهو ما يذهب اليه المستشرق «جورج ميل» أن القرآن نتاج بشري وضعه محمّدﷺ بنفسه وتلقى في سبيل إنجازه بعض المساعدات من رهبان اليهود والنصارى.[٧٧] وهذه المزاعم يرددها مستشرقين اخرين وهم «جولد زيهر» الذي يزعم أن النبي محمّدﷺ تعلم من بعض اليهود والنصارى وتأثر بهم واستسقى منهم افكاره

٧٢. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢٥.

٧٣. معجم افتراءات الغرب على الإسلام، ص١٠٥.

٧٤. معجم افتراءات الغرب على الإسلام، ص١٠٣ـ١٠٦.

٧٥. المقدادي، الإسلام وشبهات المستشرقين، ص٢٨٨.

٧٦. صورة اصحاب الكساء، ص٣١٤ـ٣١٥.

٧٧. معجم افتراءات الغرب، ص٢٠٨.

وما بشّر به الناس كالحساب والعقاب ويوم الآخرة.[٧٨] بل أن المستشرق «كاستر» ذهب إلى القول أن اليهود قد اثروا تأثيرا كبيرا في تكييف الدين الذي جاء به محمّدﷺ وإظهاره بالصورة التي تجلى بها.[٧٩] فمثل هذه التخرّصات والادعاءات الكاذبة عندما يذكرها هؤلاء المستشرقين وادعائهم المزعوم بمجالسة النبيﷺ للقصّاص من أهل الكتاب وأخذه عنهم، ولكن المستشرقين لا يقدمون اي دليل على تلك المجالسات إنما مجرد طرح افكار مخادعة، مع العلم بأنه لم يرد أن مكة كانت تضم جالية يهودية أو نصرانية يجالسهم النبيﷺ ويأخذ منهم. وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة كانوا يحملون برنامجا دينيا شبه متكامل بمعنى أنه لم يكن بحاجة إلى إرشادات اليهود أو المسيحين أو غيرهم.[٨٠] ومما هو جدير بالذكر أن الجزء الاكبر من القرآن الكريم نزل في مكة حيث نزلت فيها ٨٥ سورة، وباقي السور وعددها ٢٩ سورة نزلت في المدينة.[٨١]

الرابع) حرب الفجار هل اشترك أبوطالب والرسول فيها؟

من أيّام العرب قبل الإسلام التي ذكرها ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية حرب الفجار،[٨٢] وهي الحرب التي وقعت ما بين كنانة وحلفائها ضد قيس عيلان وحلفائها هوازن وسليم وغطفان. وحرب الفجار هي فجاران، الفجار الاول يضم ثلاثة ايام والفجار الثاني يضم خمسة ايام في اربع سنين. وقد أطنبت المصادر التاريخية بالحديث عنها،[٨٣] وسمّيت الفجار لأنها كانت في الاشهر الحرم وهي الشهور التي كان يحرم العرب فيها القتال ففجروا فيها وانتهكوا حرمتها.[٨٤] وهذه الاشهر كانت مقدسة عند العرب قبل الإسلام ولا يجوز القتال فيها وهي ثلاثة اشهر متوالية وواحد منفرد، وهي ذي القعدة وذي الحجة، ومحرم ورجب.[٨٥] أورد ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية اخبارا عن حرب الفجار الثانية التي يطلق عليها بفجار البراض والتي كانت ما بين قريش ومن معها من كنانة ضد قيس عيلان وأحلافها بسبب النعمان بن منذر.

> ملك الحيرة أرسل بلطيمة ـ قافلة تجارية ـ له إلى سوق عكاظ وأجارها له عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب من هوازن أي أصبح المكلف بحمايتها وهو المشهور بعروة الرحال سمّي بذلك لكثرة ارتحاله. فقال له البراض بن قيس احد بني ضمرة من بني بكر بن

---

٧٨. معجم افتراءات الغرب، ص٨٣ـ٨٤.

٧٩. الإسلام ومنبهات المستشرقين، ص٢٨٦.

٨٠. صورة اصحاب الكساء، ص٣١٧ـ٣١٨.

٨١. الصغير، تاريخ القرآن، ص٥٤.

٨٢. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢١ـ٢٢٤.

٨٣. للتفصيل راجع: أيّام العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٢٥٠ـ٢٦١؛ الأغاني؛ ج٥، ص٤٦٩؛ العقد الفريد؛ج٥،ص١٥٢ـ١٥٨؛نهاية الأرب، ج١٥، ص٣٢٣ـ٣٢٩؛ أيّام العرب في الجاهليّة، ص٣٢٢ـ٣٤١؛ التقويم في مكّة قبل الإسلام، ص١٢٦.

٨٤. أيّام العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٢٥٠؛ نهاية الأرب، ج١٥، ص٢٤؛ مرآة الزمان، ج٣، ص٧٢.

٨٥. الروض الأنف، ج١، ص١٢٢؛ زاد المعاد، ج٣، ص١٤٣؛ تاريخ الخلفاء، ص٩٥.

عبد مناة بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم وعلى الخلق كلها. فخرج فيها عروة الرحّال حتى نزل على ماء يقال له أوارة فوثب عليه البراض الكناني فقتله في الشهر الحرام. لذلك سمّيت بحرب الفجار.[٨٦]

إن حرب الفجار الثانية والمعروفة بفجار البراض كان القتال فيها في اربعة ايام، يوم شَمْطَة ويوم العَبْلاء ويوم الشَّرب ويوم الحُريرة.[٨٧] وزعم ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية مشاركة الرسول الكريم محمّد في حرب الفجار حيث قال:

وشهد رسول الله بعض أيّامهم، أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله: كنت أنبل عن أعمامي أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها.[٨٨]

ولكنه لم يحدد أي يوم من ايامها، اشترك فيها الرسولﷺ حسب زعمه، كما أنه لم يذكر سند الرواية وإنما ذكره مرسلاً. وقد زعم أهل الاخبار أن رسول اللهﷺ قال:

شهدت الفجار مع عمي أبي‌طالب وأنا غلام.[٨٩]

إن اختلاف المصادر بشان آلية اشتراك الرسولﷺ في حرب الفجار حسب ادعائهم واختلافهم في تحديد عمره أيضا. فرواية ابن‌هشام في السيرة النبوية يُفهم منها أن رسول اللهﷺ اشترك فيها مرغما وليس بإرادته الشخصية وإنما تلبية لرغبة أعمامه، فكأنه اشترك فيها تفاديا للحرج ولكي لا يتهم بأنه جبان ولم يشترك في الحرب التي اشترك فيها جميع أبناء عمومته وبذلك فإن عدم مشاركته تكون مثلبة بحقه فخرج معهم أي مرغما أخاك لا بطلا. فيقول ابن‌هشام عن حرب الفجار:

وشهد رسول الله بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم.[٩٠]

وهذا الرأي يشير إليه ابن‌كثير ايضا بقوله:

وشهد رسول الله بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم.[٩١]

٨٦. الروض الأنف، ج١، ص٢٢١ـ٢٢٤.
٨٧. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٥٦ـ٢٥٧.
٨٨. السيرة النبويّة لابن كثير، ج١، ص٢٢٣.
٨٩. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.
٩٠. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢٣.
٩١. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٥٦.

فيُفهم من مضمون هذه الروايات أن الرسولﷺ أُخرج مكرها ورغم إرادته للمشاركة في حرب الفجار وأن أعمامه أرغموه في الحضور والمشاركة في حين الوقائع التاريخية تخالف ذلك وتبيّن عدم مشاركة النبيﷺ في حرب الفجار اصلا وهذا ما سنوضحه لاحقاً.

واختلفت المصادر في تحديد عمر رسول اللهﷺ وآلية مشاركته ودوره فيها. فمن خلال مراجعتنا للمصادر وجدنا أن هنالك اختلاف وتفاوت فيما تذكره. قال ابن‌هشام:

> فلمّا بلغ رسول الله أربعة عشر سنة أو خمسة عشر سنة هاجت حرب فجار البراض واشترك فيها رسول اللهﷺ وقال: كنت أنبل على أعمامي أي أرد نبل عدوهم إذا رموهم بها.[92]

وهو ما يذهب إليه السهيلي حيث ينقل نص ابن‌هشام هذا[93] وذكر ذلك ابن‌كثير أيضا[94] وينقل ذلك ايضا صاحب كتاب سبل الهدى والرشاد.[95] وذكر ابوفرج الاصفهاني أن رسول اللهﷺ اشترك مع قومه في حرب الفجار وعمره أربعة عشر سنة[96] وفي رواية للسهيلي أنه اشترك في الحرب لأنه كان قد بلغ سن القتال[97] في حين هنالك روايات مُخالفة لمّا ذُكر أعلاه بشأن عمر رسول اللهﷺ واشتراكه في حرب الفجار. قال ابن‌هشام:

> إن رسول اللهﷺ لمّا هاجت حرب الفجار كان عمره عشرين سنة.[98]

وهذا يناقض ما ذكره في رواية اخرى أن عمره أربعه عشر سنة او خمسة عشر سنة[99] وقيل:

> إن عمره كان أربعة عشر سنة.[100]

وقيل:

---

[92]. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢١ـ٢٢٣.

[93]. الروض الأنف، ج١، ص٣١٧.

[94]. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٥٥.

[95]. سبل الهدى والرشاد، ج٢، ص١٥٢.

[96]. الأغاني، ج٥، ص٤٦٩.

[97]. الروض الأنف، ج١، ص٨٧.

[98]. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢٣.

[99]. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢٢.

[100]. المختصر في اخبار البشر، ج١، ص٧٣؛ نهاية الأرب، ج١٥، ص٣٢٤.

إن عمره الشريف كان سبعة عشر سنة.[١٠١]

أما المسعودي فيقول:

إن عمر رسول اللهﷺ كان إحدى وعشرين سنة.[١٠٢]

وقيل:

عشرون سنة.[١٠٣]

أما ابن‌خلدون فيذهب إلى القول بانه:

شهدها رسول الله صغيراً.[١٠٤]

وهنالك من يذهب إلى القول من المؤرخين إلى مشاركة الرسول محمّدﷺ مشاركة فعلية وليس بدور ثانوي يقوم بجمع النبل لأعمامه وحفظ متاعهم، بل أنه كان يرمي بنفسه بالسهام. فقد نقل ابن‌سيد الناس عن الرسولﷺ بخصوص حرب الفجار قال:

ورميت فيه باسهم.[١٠٥]

فهذه الرواية تشير إلى مشاركته الفعلية بالحرب وأنه رمى باسهم فيها وليس أنه كان يقوم بجمع السهام لأعمامه. أما السهيلي فقد همس إلى مشاركة الرسول محمّدﷺ في حرب الفجار إلا أنه لم يقاتل فيها بصورة فعلية وإنما بصيغة غير مباشرة ويظهر أن السهيلي كان متأثراً بالإعلام الأموي. فادعى بحضور النبيﷺ لهذه الحرب وأنه كان ينبل على أعمامه وعلل عدم مشاركته الفعلية بقتالهم بحجة أنهم كفار ولم يأذن الله سبحانه وتعالى له بقتالهم حيث يقول:

لم يقاتل رسول الله مع أعمامه وكان ينبل عليهم وقد كان بلغ سن القتال، لأنها كانت حرب فجار، وكانوا ايضا كلهم كفاراً ولم يأذن الله تعالى المؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا.[١٠٦]

ونقل ابن‌سيد الناس حسب زعمه رواية يُشكك فيها بالقول القائل بعدم مشاركة النبيﷺ في حرب الفجار فيقول:

حرب الفجار وزَعْمُ النبي لم يقاتل فيها.[١٠٧]

ونقل الصنعاني رواية السهيلي وقال:

١٠١. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١١.

١٠٢. مروج الذهب، ج١، ص٢٦.

١٠٣. عيون الأثر، ج١، ص٦٨؛ البدء والتاريخ، ج١، ص٢٢٦؛ تاريخ الإسلام، ج١، ص١٣؛ أسد الغابة، ج١، ص٩.

١٠٤. تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص٦٥.

١٠٥. عيون الأثر، ج١، ص٦٨.

١٠٦. الروض الأنف، ج١، ص٣١٧.

١٠٧. عيون الأثر، ج١، ص٦٨.

أن النبي لم يقاتل في حرب الفجار.[١٠٨]

وأورد ابن‌سعد:

قال رسول الله وذكر الفجار، فقال: «قد حضرته مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما أحب أنّي لم اكن فعلت»، فكان يوم حضر ابن‌عشرين سنة، وكان الفجار بعد الفيل بعشرين سنة.[١٠٩]

وهنالك من ينقل روايات عن الرسولﷺ بأنه شارك بصورة فعليه وأنه غير مكترث بتلك المشاركة وأنه ناصر أبناء عمومته في تلك الحرب، وبذلك فإنهم يصوروه بأنه يفتخر بتلك المساهمة فيزعمون، أنه قال:

ما أحب أنّي لم اكن فعلت.[١١٠]

وفي رواية أخرى:

وما أحب أن لم أحضر.[١١١]

وفي رواية اخرى:

ما سرّني أنّي لم أشهده، أنهم تعدوا على قومي.[١١٢]

وحاشا أن يفعل ذلك. وهو خبر لا يمكن قبوله لأن رسول اللهﷺ لا يمكنه المشاركة في حرب ظالمة قوامها العصبية القبلية التي حاربها الإسلام.

وفي رواية اخرى زعموا فيها مشاركة أبي‌طالب والرسول محمّدﷺ في حرب الفجار أن:

أبا طالب كان يحضر في ايام ومعه رسول الله ، فإذا حضر هزمت كنانة قيسا فعرفوا البركة بحضوره، فقالوا: يا ابن‌مطعم الطير وساقي الحجيج لا تغيب عنّا فإنا نرى مع حضورك الظفر والغلبة. قال: «فاجتنبوا الظلم والعدوان والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم»، فقالوا: ذاك لك، فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم.[١١٣]

ولا ندري كيف يُعقل أنه يفعل ذلك أبوطالب ويوافق على طلب قريش وكنانة بمشاركته بحرب الفجار التي هي من اسمها فيها الفجور والظلم والعدوان، ثم يطلب منهم عدم الإتيان بتلك الاعمال

---

١٠٨. سبل الهدى، ج٢، ص١٥٣.

١٠٩. الطبقات الكبرى، ج١، ص٦١.

١١٠. الطبقات الكبرى، ج١، ص١٢٦؛ عيون الأثر، ج١، ص٦٨.

١١١. مرآة الزمان، ج٣، ص٧٥.

١١٢. أيّام العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٣٦١؛ الأغاني، ج٥، ص٤٧٥ و ج٢٢، ص٧٨.

١١٣. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.

وإلى جانبه الرسولﷺ. فكيف يكون ذلك فمثل هذا النص لا يمكن قبوله والإقرار به لأن الوضع واضح فيه للعيان.

والأدهى من ذلك أنه من خلال دراستنا وجدنا أن أبا عبيدة، انفرد في رواية ذكر فيها المشاركة الفعلية للرسول محمّدﷺ في حرب الفجار وقيامه بطعن ابي براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة الذي يلقب بـ«ملاعب الأسنة» وذلك لشجاعته. فقال:

وشهدها هو ابن‌عشرين سنة، وطعن النبي أبا براء ملاعب الأسنة.[١١٤]

فأرداه عن فرسه[١١٥] وقد نقل هذه الرواية عن أبي عبيدة ايضا ابوفرج الاصفهاني في موضعين من كتابه.[١١٦]

اختلفت المصادر التاريخية بتحديد اليوم الذي اشترك فيه الرسول في حرب الفجار الثانية حسب زعمهم. فابن كثير في السيرة النبوية يقول عن هذه الحرب:

ويوم الشّرب ـ و اعظمها يوماً ـ وهو الذي حضره رسول الله.[١١٧]

أما ابوفرج الاصفهاني فإنه يذكر مشاركة الرسولﷺ في حرب الفجار وأنه حضر في يومين منها مغايرا لليوم الذي ذكره ابن‌كثير، فيقول:

يوم الفجار الثاني واول يوم حروبه يوم نخلة وبينه وبين مبعث النبي ست وعشرون سنة وشهد النبي ذلك اليوم مع قومه.[١١٨]

وهو ما يذهب إليه البلاذري حيث يقول:

وحضر رسول الله يوم نخلة مع عمومته وهو أعظم ايام الفجار.[١١٩]

١١٤. أيّام العرب قبل الإسلام، ج٢، ص٢٦٠ـ٢٦١.
١١٥. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢.
١١٦. الأغاني، ج٥، ص٤٧٥ و ج٢٢، ص٧٧.
١١٧. الأغاني، ج١، ص٢٥٦.
١١٨. الأغاني، ج٥، ص٤٦٩.
١١٩. أنساب الأشراف، ج١، ص١١٠.

١. هل أُصيب ابوطالب بسهم بحرب الفجار؟

وإلى هذا المنحنى عثرتُ على رواية للواقدي، يدعي فيها أن أبا طالب عليه السلام قد تعرض للإصابة في حرب الفجار، وقد انفرد بذكرها عنه سبط ابن‌الجوزي. قال الواقدي:

أصاب أبا طالب سهم في قدمه عام الفجار فكان يجمع منه.[١٢٠]

وكررها مرة اخرى في كتابه الاخر «تذكرة الخواص» حيث وردت فيه بلفظ:

كان يتوجع منه.[١٢١]

٢. عدم مشاركة أبي‌طالب والرسول في حرب الفجار

على الرغم من محاولات بعض الكتاب والمؤرخين الذين بذلوا جهودا مضينه وسعوا بكل ما يمتلكون من اساليب وطرائق لتأكيد مشاركة الرسول الكريم محمّد في حرب الفجار، وكذلك مشاركة أبي‌طالب فيها[١٢٢] إلا أن جميع تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح. لأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يشترك بحرب فاجرة ظالمة، انتهكت كل القيم والأعراف النبيلة التي أكدت على حرمة الأشهر الحرم وعدم جواز سفك الدماء فيها وهو ما أقره الإسلام، قال تعالى:

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ. ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ. فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ.[١٢٣]

كما أن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يشترك في حرب ظالمة، غاشمة فيها تجاوز على حقوق الناس وحرمتهم، أو المشاركة بحرب بدافع العصبية القبلية تلك العصبية البغيضة التي حاربها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وأنه قال:

لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أبيضَ إلَّا بالتَّقوَى، النَّاسُ من آدمُ، وآدمُ من ترابٍ.[١٢٤]

---

١٢٠. مرآة الزمان، ج٣، ص١٢٣.

١٢١. تذكرة الخواص، ص١١.

١٢٢. السيرة النبويّة، ج١، ص٢٢٣؛ تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢؛ الأغاني، ج٥، ص٤٦٩.

١٢٣. التوبة، ٣٩.

١٢٤. مسند أحمد، ج٤٧،ص٤٧٨؛ المعجم الاوسط، ج١٠، ص٤٦٢.

وفي حديث آخر قال رسول اللهﷺ:

المسلمون إخوة، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.[١٢٥]

هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد أكدت المصادر التاريخية عدم مشاركة أبي‌طالب والرسول الكريم محمّدﷺ في حرب الفجار وقد بينت أسباب عدم المشاركة فيها لكونها حرب غاشمة وفيها استحلال لحرمة الأشهر الحرم. فقد روى اليعقوبي عدم مشاركة الرسولﷺ وأبي‌طالب وبني هاشم في حرب الفجار، حيث قال:

> وقد روي أن أبا طالب منع أن يكون فيها احد من بني هاشم، وقال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرم ولا احضره ولا احد من أهلي. فأُخرج الزبير بن عبدالمطلب مُستكرِهاً وقال: عبدالله بن جدعان التيمي وحرب بن امية: لا نحضر امراً تغيب عنه بنو هاشم.[١٢٦]

فهذا يعني أن هنالك رجال اخرون من قريش لم يشاركوا فيها.

ونرجّح أن مصدر رواية مشاركة الرسولﷺ وأبي‌طالب في حرب الفجار هي الأقلام المأجورة للبلاط الأموي من أجل تشويه سيرة أبي‌طالب وأنه شارك في تلك الحرب الفاجرة بعد أن خاض غمارها زعماء قريش وآباء وأجداد الأمويين فذهبوا بعارها وشنارها، ولكي لا توجه أصابع النقد فقط اليهم بل أرادوا أن يشملوا به ايضا أبا طالب والنبي محمّدﷺ بأنه كان مشاركاً معهم في هذه الحرب الظالمة.

ومن خلال دراستنا للموضوع فإنّنا نرفض كل الآراء والروايات والخزعبلات المزعومة جملة وتفصيلا التي تزعم وتدعي ظلما وعدوانا مشاركة الرسول محمّدﷺ وعمه أبي‌طالب في حرب الفجار. تلك الروايات الباطلة التي تم تدوينها بتكليف وأمر من البلاط الأموي، وكُتبت في دهاليز الظلام، في حين الحقيقة التي لا يمكن تغطيتها بغربال أنهما لم يشاركا فيها وجميع بني هاشم حيث رفض سيد البطحاء أبوطالب المشاركة في تلك الحرب لكونها حرب فجور وظلم وانتهاك للحرمات.

١٢٥. معرفة الصحابة، ج٦، ص٢٩٩.

١٢٦. تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١١.

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع السيرة الذاتية لأبي‌طالب من خلال كتاب السيرة النبوية لابن هشام فقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- لم يتصف ابن‌هشام بالأمانة العلمية عند نقله للأخبار والروايات بل كان يختار منها بما يتفق مع ميوله وأهواءه الشخصية.
- افتقد ابن‌هشام الحيادية في نقل الحوادث وهذا الامر امتدّ أيضا إلى روايته لشعر أبي‌طالب إذ كان ينتقي منه انتقاء ولم يرويه كاملا. بل عمد إلى حذف اشعار منه ولم يذكرها في كتابه السيرة النبوية وقد صرح ابن‌هشام بذلك.
- من خلال البحث اتضح لنا أن أبا طالب كانت له مكانة عالية ومتميزة عند قريش وعند العرب، ويُعد من الشخصيات المؤثرة في المجتمع المكي بصورة خاصة والمجتمع العربي بصورة عامة، وهذا يتجلى من خلال الالقاب العشرة الذي أطلقوها عليه فهو شيخ الأبطح، ورئيس مكة، وبيضة البلد، وسيد البطحاء... والتي انفرد بها ولم تطلق على سواه من زعماء وملوك ورؤساء العرب.
- كان ابوطالب أحد حُكام العرب وقضاتها وكان ويأتيه المتخاصمون من كل صوب وحدب فيقضي بينهم وتتفجر الحكمة من جوانبه، وأن حكيم العرب أكثم بن صيف يقول:

تعلمت الحكمة من أبي طالب.

- من خلال دراستنا اتضح لنا عدم صحة رواية خطبة النبي محمّدﷺ المزعومة من أم هانئ بنت أبي‌طالب وهي من الروايات الأموية الموضوعة والهدف منها رفع شأن بني مخزوم وإعلاء مكانتهم، وتُعد من الروايات التي شاعت ولم تثبت في السيرة النبوية، لأن النبيﷺ لو كان حقا قام بخطبة أم هانئ لزوجها إليه ابوطالب مباشرة وبدون أن يتردد منه وذلك لشدة حب أبي‌طالب للنبي محمّدﷺ إذ كان يفضله ويقدمه على اولاده.
- بذل المؤرخون والكُتّاب المأجورين جهودا مضنية في إظهار كفر أبي‌طالب وأنه كان يعبد الأصنام حتى زعموا أنه كان يحضر في العيد مع قومه احتفالاتهم عند الصنم بوانة من كل عام، إن صاحب هذه الرواية لديه رسالة يريد أن يوصلها للمتلقي بأن آل عبدالمطلب كانوا وثنيين، عبدة اصنام، وهذا يُخالف كونهم موحدين حنفاء مسلمين غير مشركين طاهرين.
- قدم ابن‌هشام صورة كاذبة للمتلقي وملفّقة وبعيدة عن الواقع باعتقاد أبي‌طالب وتصديقه بالكهنة والرهبان وذهابه إليهم لمعرفة مستقبل النبي الاكرم محمّدﷺ وهذا يتنافى مع إيمان أبي‌طالب وتوحيده لله سبحانه وتعالى وأنه على ملة إبراهيم الخليل حنيفا مسلمًا.

- من خلال دراستنا للموضوع اتضح لنا عدم مشاركة الرسول الكريم محمّدﷺ وعمه أبي‌طالب في حرب الفجار وهو ما أكدته المصادر التاريخية لأنها حرب فجور وظلم وعدوان رغم تأكيد وتشديد ابن‌هشام على مشاركتهما بتلك الحرب الغاشمة.
- أورد ابن‌هشام في كتابه السيرة النبوية العديد من الروايات والاخبار التي توضح دور الرهبان والكهنة بالتنبؤ بنبوة النبي الاكرم محمّدﷺ وهذا خلاف الواقع. لأن الرسول محمّدﷺ نبي من الله سبحانه وتعالى ولا يحتاج إلى معرفة نبوته من خلال الرهبان والكهان.
- فشلت قريش في كسب أبي‌طالب إلى جانبها وسعيها الحثيث بالتفريق بينه وبين النبي محمّدﷺ رغم كل المغريات والمناصب التي قدمتها إلى أبي‌طالب بان يكون ملكا عليهم وهذا يؤدي بالنتيجة إلى مدّ نفوذه وسطوته على بلاد اخرى.
- إن المصادر التاريخية لم تكن منصفة مع أبي‌طالب في مروياتها ولم تعطيه حقه الذي يستحقه بكل جدارة بل إن مؤلفيها أخذوا اغلب مادتهم التاريخية عن ابن‌هشام في سيرته النبوية دون النظر فيها او التحقيق والتدقيق في تلك المرويات التي دوّنها ابن‌هشام وهو المعروف بشدة تحامله وبغضه لأبي طالب، فأنكر كل معروف وصنيعة وفضيلة لأبي‌طالب وما قدمه من تضحيات عظام في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين.
- اتضح لنا من خلال سير البحث أن أبي‌طالب كان رجلا غنيا وأحد كبار تجّار قريش وكان يشترك في قافلة قريش التجارية، الإيلاف، وكان يتاجر مع مختلف مدن الشام وبلاد الجزيرة العربية، وكان يحضر سوق عكاظ، وهذا يدل على أنه كان تاجرا غنيا. وأيضا كان يتولى السقاية والرفادة في مكة، وكان يُقيم المأدبة لإطعام الناس فهذا يدل على انه كان ثريا ولم يكن رجلا فقيرا، معدما، كما يصوره ابن‌هشام حسب مزاعمه في السيرة النبوية إلى درجة أنه أصبح عاجزا عن إعالة عياله وتوفير لقمة العيش لهم.
- أنفق أبوطالب جميع أمواله خلال فترة حصار قريش للمسلمين في الشِعْب وهذا يدل على ثراءه ولم يكن رجلا فقيرا كما حاولت المصادر التاريخية أن تصفه به.
- من خلال البحث اتضح لنا أن أبا طالب ولد وعاش ومات وهو مسلمًا مؤمنا ولم يعبد الاصنام قط، وآمن بما جاء به النبي الاكرم محمّدﷺ وأن أفعاله وأقواله تثبت ذلك وأن اشعاره التي دلت على إيمانه برسالة الإسلام وبنبوة محمّدﷺ وتوحيده لله سبحانه وتعالى بلغت ثلاثة الاف بيت من الشعر.
- إن شخصية أبي‌طالب ودورها في حياة الرسولﷺ وأثرها في الإسلام لا يمكن للباحث المنصف أن ينكرها أو يقلل من شأنها. إن الإسلام لولا أبوطالب لم يكن شيئا مذكورا.

المصادر

١. القرآن الكريم.
٢. أبوطالب؛ مؤمن قريش، الخنيزي، عبدالله، لبنان، بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٥م.
٣. الاختصاص، الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، التحقيق: علي اكبر غفاري، لبنان، بيروت: موسسة الاعلمي للمطبوعات، ٢٠١٢م.
٤. الأربعين، القمي الشيرازي، محمّد طاهر، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، المجموعة: مصادر الحديث الشيعية ـ القسم العام، ١٤١٨ق.
٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، ابوعمر يوسف بن عبدالله بن محمّد، المحقق: علي محمّد البجاوي، لبنان، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ق.
٦. اسد الغابه في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري، طبعه مجدده، لبنان، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٣م.
٧. الاسلام و شبهات المستشرقين، المقدادي، فؤاد كاظم، العراق، بغداد: مجمع الثقلين العلمي، ١٤٢٥ق.
٨. الاشتقاق، ابن دريد، ابوبكر محمّد بن الحسن، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمّد هارون، لبنان، بيروت: دار الجيل، ١٤١١ق
٩. اطواق الذهب في المواعظ والخطب، الزمخشري، ابوالقاسم جار الله محمود بن عمر، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٠٤ق.
١٠. الاغاني، أبوالفرج الإصفهاني، على بن الحسين، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٤م.
١١. بحارالانوار الجامعه لدرر اخبار الائمه الاطهار؟عهم؟، المجلسي، محمّد باقر، لبنان، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٤ق.
١٢. البداية و النهاية، ابن كثير القرشي، ابوالفداء إسماعيل بن عمر، لبنان، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧ق.
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق المرتضى، طبعة الكويت، لبنان، بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ق.
١٤. تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ابو زيد عبدالرحمن بن محمّد، المحققان: خليل شحاده – سهيل زكار، لبنان، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠م.
١٥. تاريخ الإسلام و ذيله، الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، المحقق: عمر عبدالسلام التدمري، العراق، بغداد: دار الكتاب العربي، ١٤١٠ق.
١٦. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، الطبري، محمّد بن جرير بن يزيد، المحقق: ابوصهيب الكرمي، السعودية / الأردن: بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م.
١٧. تاريخ الخلفاء، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: حمدي الدمرداش، مصر، القاهرة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٤٢٥ق.
١٨. تاريخ القرآن، صغير، محمّد حسين علي، لبنان، بيروت: دار المورخ العربي، ١٩٣٩م.
١٩. تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، اليعقوبي، العراق، النجف الاشرف: مطبعة الغري، ٢٠١٦م.
٢٠. تحقيق مالك المحمودي وإبراهيم البهادري، عمدة عيون صحاح الاخبار، ط٣، ايران، طهران: مطبعة افست، ١٤١٢ق.

٢١. تذكرة الحفاظ، الذهبي، شمس الدين ابوعبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، لبنان، بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤١٩ق
٢٢. ثمار القلوب، الثعالبي، عبدالملك بن محمّد بن إسماعيل، المحقق: محمّد ابوالفضل إبراهيم، مصر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥م.
٢٣. جمل من انساب الاشراف، البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، لبنان، بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ق.
٢٤. جمهرة النسب، ابن الكلبي، ابوالمنذر هشام بن محمّد أبي النضر ابن السائب، كويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٤ق
٢٥. جمهرة أنساب العرب، الاندلسي، ابومحمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ق.
٢٦. حلية الابرار في احوال محمّد واله الاطهار عليهم السلام، البحراني، العلامة السيد هاشم بن سليمان، التحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، لبنان، بيروت، ١٤١١ق.
٢٧. ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله، أبوطالب، عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم، المحقق: محمّد التونجي، لبنان، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤ق.
٢٨. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، السهيلي، ابوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد، المحقق: عمر عبدالسلام السلامي، لبنان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ق.
٢٩. السنن الكبرى، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، المحقق: محمّد عبدالقادر عطا، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ق.
٣٠. السير المحمّدية، الشيرازي، محمّد طاهر القمي، تحقيق د. محمّد التونجي، سوريا، دمشق: دارالفكر، ٢٠١٨م.
٣١. ايران، قم: السيرة المحمّدية، السبحاني، جعفر، مؤسسة الامام الصادق، ٢٠٢١م.
٣٢. لبنان، بيروت: السيرة النبوية (سيرة ابن إسحاق)، المطلبي، محمّد بن إسحاق بن يسار، المحقق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ق.
٣٣. السيرة النبوية، ابوالفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، لبنان، بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، ١٣٩٥ق.
٣٤. السيرة النبوية، الحميري المعافري، عبدالملك بن هشام بن أيوب، المحقق: عمر عبدالسلام التدمري، العراق، بغداد: دار الكتاب العربي، ١٤١٠ق.
٣٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عزالدين عبدالحميد بن هبة الله، ايران، قم: مكتبة آية الله مرعشي النجفي، ١٤٠٤ق
٣٦. شعر أبي طالب دراسة أدبية، هناء عباس كشكول، مقال منشور على موقع: www.haydarya.com/nashatat /abo - talib
٣٧. الصحيح من سيرة النبي الأعظم، العاملي، السيد جعفر مرتضى، لبنان، بيروت: دار الهادي، ١٤١٦ق.
٣٨. صورة اصحاب الكساء بين تجني النص واستباحة الخطاب الاستشراقي، الكعبي، كريم محمّد، جامعة البصرة - كلية الاداب - قسم التاريخ، ٢٠١٤م.

٣٩. علل الشرائع، الصدوق، ابوجعفر محمّد بن علي ابن بابويه قمّي، العراق، النجف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٨٣ق.
٤٠. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربعي الحلّي، ايران، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٧ق
٤١. عيون الأثر في فنون المغازي و الشمائل و السير، ابن سيد الناس، محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد، تعليق: إبراهيم محمّد رمضان، لبنان، بيروت: دار القلم، ١٤١٤ق.
٤٢. الغرب على الإسلام، زناتي، أنور محمود، معجم افتراءات المكتبة الشاملة الذهبية، ٢٠١١م.
٤٣. غريب الحديث، الحربي، إبراهيم بن إسحاق، المحقق: سليمان بن إبراهيم بن محمّد العايد، السعودية، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٥ق.
٤٤. قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام، الجميلي، خضير عباس، العراق، بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٢م
٤٥. الكامل في اللغة والأدب، المبرد، محمّد بن يزيد، المحقق: محمّد ابوالفضل إبراهيم، مصر، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧ق.
٤٦. الكنى والألقاب، القمي، الشيخ عباس، لبنان، صيدا: مطبعة العرفان، ١٣٩٧ق.
٤٧. لسان العرب، ابن منظور، محمّد بن مكرم بن على، ابوالفضل، جمال الدين، لبنان، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ق.
٤٨. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ابن حبيب، محمّد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي، تحقيق محمّد بركات وعمار مويحاوي، لبنان، بيروت: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣م.
٤٩. مروج الذهب و معادن الجوهر، مسعودي، علي بن حسين، ايران، قم: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩ق.
٥٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الشيباني الوائلي، أحمد بن محمّد بن حنبل ابوعبد الله، المحقق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ق.
٥١. مصنفات الشيخ المفيد، الشيخ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ٢٠١٨م
٥٢. معجم البلدان، الحموي، شهاب الدين ابوعبد الله ياقوت بن عبدالله، لبنان، بيروت: دار صادر، ١٩٩٥م.
٥٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري، ابوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمّد، لبنان، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ق.
٥٤. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، علي، جواد ، لبنان، بيروت: دار الساقي، ١٤٢٢ق.
٥٥. مناقب آل ابي طالب، ابن شهرآشوب، محمّد بن علي، العراق، النجف الاشرف: المكتبة الحيدرية، ١٣٧٦ق
٥٦. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الخوئي، ميرزا حبيب الله الهاشمي، التحقيق: علي عاشور، ايران، طهران: المكتب الاسلامية، ١٤٢٤ق.
٥٧. مواسم العرب الكبرى، محمّد حمور، عرفان، لبنان، بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ١٩٩٩م.
٥٨. نسب قريش، الزبيري، المصعب، مصر، القاهرة: دار المعارف، ٢٠١٧م.
٥٩. نسب قريش، ليفي بروفسال، مصر، القاهرة: دارالمعارف، ١٩٩٩م.
٦٠. نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة أنموذجاً، ناجي، عبدالجبار، لبنان، بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة و النشر و التوزيع، ٢٠١١م.

٦١. نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، أحمد بن عبدالوهاب، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ق.
٦٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الاثير، المبارك بن محمّد الجزري، المحقق: علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد الحلبي، السعودية، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢١ق.
٦٣. الوفا بأحوال المصطفى، ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمّد، المحقق: محمّد زهري النجار، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢م.